

## الفصل السادس

# استعمال العصا

### أداء الواجب

عندما يحين الوقت لاستعمال العصا، خذ نفساً عميقاً، واسترخِ، وصل: «يا رب، اجعلها جلسة تعليم ثمينة. نَقِّ طفلي من سوء الخلق والتمرد. واجعلني أنوب عنك في هذا الأمر كما يجب».. بدون تطويح .. بدون صوت عالٍ. وهكذا يجب أن يترقّب الطفل أن تستعمل العصا وأنت هاديء رابط الجأش.

وإذ يستبد به الفزع عندها، سيُسرع إلى إظهار الطاعة. لكن إياك أن تكافيء الطاعة المؤجّلة بترك العقاب. أيضاً، لا تجرّه إلى مكان التنقية (العقاب) جرّاً، إلا إذا فشلت كل محاولة أخرى. المجيء في خضوع جزء من تدريبه. لكن إذا كنت في بداية تأسيس التدريب مع طفل متمرد يهرب من التأديب، مشتّت الذهن لا يقدر على الاستماع، فلتستعمل كل طاقتك لإحضاره. ولا تتردد في معاقبته حتى إن اضطررت إلى الجلوس فوقه. ولتمسك به هكذا حتى يستسلم. أثبت له أنك أكبر وأشد وأكثراً تحملاً وصبراً ولا تتأثر بنحيبه وعويله. اهزمه هزيمة كاملة، ولا تقبل أي شروط للاستسلام. لا تقبل بحلول الوسط أو التسوية. عليك أن تهيمن عليه كسيد صالح له الكلمة الأخيرة.

فيما عدا ذلك، مُره بالانحناء على حافة السرير أو الكنبه، وفيما هو في هذا الوضع، ألق عليه أفضل النصائح؛ فانتباهه سيكون غير منقسم. ثم ابدأ ضربه ببطء، لأنك إذا أسرعت، ربما ضيّعت فرصة التغيير الداخلي.

قرّر بنفسك كمية العقاب المؤثرة. أنا عن نفسي وجدت أن خمس إلى عشر ضربات تكفي. أحياناً في حالة الأطفال الكبار، حين لا تكون اللسعات قوية بما يكفي، يظل الطفل متمرداً. إذا حدث ذلك، فلتقض وقتاً معه لترشده، ثم تابع الضرب. والقاعدة العامة هنا هي مواصلة الإجراء التأديبي حتى يستسلم الطفل. والضرب لا تزداد فعاليته كلما اشتد، بل كلما كان أكيداً. أي أنه لا يلزم أن تكون لسعات العصا شديدة، طالما أنك تواظب على استعمالها. وهدوءك الوقور وأنت مقدم على التأديب يجعله أكثر فعالية.

لو شعر الطفل الكبير بأن الوالد يقف موقفاً دفاعياً تنافسياً، فسيستجيب للضرب استجابته لضرب غلام أكبر منه في الشارع. ستكسر شوكنه ويحذر منك، لكنه لن يكرمك أو يحترمك. وسيتحكم ذلك في أفعاله، لكن مواقفه واتجاهات قلبه لن تتأثر.

### أدوات الحبة

احرص على ألا تستعمل يدك للضرب، فلا تفعل ذلك إلا بمبرر قوي. إن الوالد ضيق الخلق الذي يشعر بالإهانة هو الذي تنقلت

يده للضرب باستمرار مثل حيّة هوجاء، الذي بسبب انشغاله وعدم تيسّر الوقت لتدريب طفله، يصرخ بدون تفكير: «ابتعد عني .. اتركني وشأني .. كُفّ عن مضايقتي». الضرب باليد ليس إلاّ تنفيس عن إحباط الوالد.

علاوة على ذلك، ترمز اليد عند الولد للحنان، لا لفنون القتال. الضرب باليد ليس له فائدة على مؤخّرة الطفل التي تغطّيها الحفاضة، لا بل إنّ ذلك يؤذي العمود الفقري. والطفل الذي يُؤدّب بهذه الصورة لا يشعر بالألم السطحي، بل يعاني من ألم داخلي مثل الألم المصاحب للسقوط أو حادث سيارة. لكي يدعم الصفع أو الضرب عملية الإرشاد، يجب أن يسبّب وجعاً، لكن الوجع يتركز على سطح الجلد العاري حيث توجد الأعصاب. تسبب اللسعة السطحية ألماً كافياً، دون أضرار أو كدمات. ولتختبر أذاتك على حسب حجم الطفل. بالنسبة لمن هم دون العام الواحد، يكفي عود مرن طوله بين خمسة وعشرين إلى ثلاثين سنتيمتراً (بعد تقشير القُعد منه منعاً لتمزيق الجلد) وقطره نصف السنتيمتر. أحياناً يتعيّن استعمال البدائل. مثلاً قد تصلح مسطرة طولها ثلاثون سنتيمتراً أو ما يماثلها. أمّا بالنسبة إلى الأطفال الأكبر سناً وحجماً، فيجوز استعمال حزام أو غصن شجرة أكبر.

### تحذير لحائزي جائزة جبر الرحي

دائماً يتصرف البعض بتطرّف. ومثل هؤلاء قد يستغلون ما قلناه عن الاستعمال الشرعي للعصا لتبرير القسوة والوحشية المتواصلة

نحو أطفالهم. ويخطر ببالي الآن العديد منهم. هؤلاء الذين يعتدون على أطفالهم جسدياً لا يعتبرون أنفسهم معتدين، بل يرون أنفسهم «أنصار التأديب الأشداء». لكن تذكر أنه «مَنْ أَعْتَرَّ أَحَدَ هَؤُلَاءِ الصَّغَارِ الْمُؤْمِنِينَ بِي فَخَيْرٌ لَهُ أَنْ يُعَلَّقَ فِي عُنُقِهِ حَجَرُ الرَّحَى وَيُعْرَقَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ» (متى ١٨: ٦).

### من أشكال الاعتداء الجسدي

عدد الآباء الذي يسيئون إلى أطفالهم بصفة مستمرة قليل جداً. لكن الكثيرين من الآباء ينحدرون إلى الإساءة والاعتداء بين الحين والآخر. مثلاً، عندما يتمرد الولد فيفقد الوالد أعصابه ويصرخ فيه. وفي لمح البصر يُنزع الطفل من ذراعه ويتلقى عدة صفعات على مؤخرته. في أثناء ذلك، تتقد عينا الوالد وتخشن ملامحه، وتتسارع ضربات قلبه. الغضب هو أفضل وصف لذلك.. إذ يكون هدفه التحطيم والإخضاع ليس إلا! ويكون لسان حاله: «سوف تفعلين ما أمرك به. لن تفعل بي ذلك طفلة صغيرة مثلك»، في حين يحمّر وجهه وتقبض عضلاته. إن المراقب للموقف ليظن أن هناك معركة دائرة.

لا ينبغي أن تكون العصا متنفساً لغضب الأب أو الأم. على مدار الحياة اليومية، ينتاب الكثيرين منا شعور بالغضب ويهمون بالضرب. لكن لا مجال لهذه النزعة الانتقامية عند تأديب الأطفال. والمشاكل إنما تقع حين لا تكون مصلحة الطفل أسمى دافع.

من المخجل أنه في أكثر الأحوال تُستعمل العصا بعد سلسلة من الأحداث التعسفية. يسهل التنبؤ بردود أفعال الوالدين العاديين أثناء ما يسمونه «تأديباً»، إذ يقومان بتدريبات تمهيدية تهيج غضبهما بما يكفي للانتقام من الطفل.

### السيناريو المعتاد

«يا جوني، كُف عن الطلوع على الكرسي، فقد تكسر شيئاً. هل سمعت ما قلته؟ لن أكرر قولي مرة ثانية. ماذا تقصد بقول «لا!». نفذ الآن ما أمرك به - حالاً. هل تسمعي؟! انزل تحت!!! قد نفذ صبري. لماذا تصلب رأيك هكذا؟ إنك تدفعني إلى الجنون! هذه آخر مرة أقول لك فيها...»

«انزل تحت!!!». ثم تعيد ما قالته كذا مرة.

فيتحول الوضع عندئذٍ إلى منافسة بين الأم المضطربة عاطفياً والولد الصغير. لقد اتقد داخل الأم برجل من الغضب والسخط وهي الآن على وشك الانفجار. ذلك هو نفس الإحساس الذي يقود إلى ارتكاب عشرات الجرائم في اليوم الواحد عند الأفراد الذين لا يتحكمون في أنفسهم. فجأة يتفجر عداؤها، فتطلق يدها نحو الولد لتنتزعه من الكرسي وتطوح به صارخاً في الهواء. ويدها الأخرى تضربه على مؤخرته ضرباً عشوائياً بلا هدف. أمّا الطفل فيتلوّى في يدها، وكتفه تكاد تنخلع، ويصرخ محتجاً على الأم ومتحدياً لها، وأمّا الأم فبعدها نفست عن غضبها تستعد لمتابعة شغلها

المعتاد. فيفلت الطفل ليحيك مؤامره التالية. هذا مشهد بعيد كل البعد عن التأديب، بل هو أشبه بعراك الشوارع.

حالما يُنفَس الوالد عن شعوره بالإساءة نحو شخصه من خلال هذا الانفعال العنيف (وهو بالفعل كذلك في الحالة التي سبق وصفها) ويتوارى الطفل عن الأنظار، أو يُظهر رضوخاً يقنع الوالد بأنه لن يسبب المزيد من المتاعب، يرتوي غليل الوالد فيقول: «انسَ أمر الولد. إنه لن يسبب لي أي متاعب إلى حين». أمّا الوالد الحريص على مصلحة ولده حقاً، فسيرشد الطفل بصبر وطول أناة إلى ما فيه خيره. ينبغي مصاحبة العصا بالتوبيخ كي تنتج الحكمة. ولا نقصد بالتوبيخ الانتهاز الحاد والصراخ العالي.

يشعر بعض الآباء بعجزهم عن التحكم في أنفسهم، لذلك يمتنعون عن استعمال العصا مطلقاً. حياتهم الخاصة خارجة عن سيطرتهم ونفوسهم يعتصرها الذنب، ويستشعرون في ذواتهم بالعجز عن تأديب أولادهم بحياد وإنصاف. وامتناعهم عن التوبة وتحقيق التوازن في حياتهم يعود على أطفالهم بالمعاناة بسبب عدم استعمال العصا كما ينبغي.

أخيراً نقول إن إحدى علامات الاستعمال غير المتزن للعصا هو عدم مصاحبته بالتوجيه والإرشاد. «الْعَصَا وَالتَّوْبِيخُ يُعْطِيَانِ حِكْمَةً» (أمثال ٢٩: ١٥). حين ينفَس الوالد عن غضبه ليس إلا، لا يكون هناك توبيخ صبور وواعٍ همّه مصلحة الطفل. يجب اعتبار العصا معيناً للإرشاد ومدعمة للتوبيخ، لا الملاذ الأخير الذي تلجأ إليه، يا

صاحب القوة المتفوقة، بعد إحباطك. التويخ بدون العصا لا فرق  
بينه وبين العصا بدون التويخ: كلاهما مختل التوازن.